لا تحـزن

لا أعرف إن كنت سأفتح أبواب المجانين!
هل سأقتحم عالم المجانين ؟

أحبّ هذه المدينة!.. بل أجدني مرغمة على ضمها!..كم أتعبتني هذه المدينة!

مرحبا يا بائع الصفحات...أتعرفني على أصدقائك؟ وهل ستعقد بيننا لقاء؟

فآمل أن تلتقي أحلامنا...فوحدهم رفاقك يعرفون لغة الغرباء.

كان لي صديق، لكنّني لا أجد لي أصدقاء منذ قررت الرّحيل انقطعت صلتي بهم، سئمت لحظات الوداع.

صديق كان يوما بحاجة إلى مواساتي، رحت أطمئنه،
يا صديقي لا تحزن، فما تلك إلاّ هلاوس !.. أتمنى أن تزول.

صديق رأيته في صفحات بيضاء نقش عليها بالأزرق، فمزق كبدي، وشتت أفكاري
حتى ركبتني هواجس!.. فرحت أرسمه.
أجل كان أسمرا، قصيرا، هزيل الجسد..لا..لا أريد!..

كان يجر رداءه الذي لا يلائم مقاسه..يجر رداءه وهو حافي القدمين!..

أظافره وجد التف تحتها عشا... الشعر الأسود الجميل صار خيوطا تثقل عاتقه،

رأيت في صورته ذلك الوجه الشاحب تبرز منه عينين عسليتين مغرورقتين،
أردت سماع أنينه فلم أقدر، فصوته قد أبحه الزمن!..

رأيته قابع في زاوية متخشبا !..لا يتكلم، لا يبتسم، لا يتحرك، لم أفهم منه شيئا. حينها تذكرت ربّما أعرفه ؟! وربّما التقينا في محطة انتظار؟!..

يا صديقي لا تحزن، فرأيت بجوارك عظيم!..فلتأنس به.
كان بجواره ذلك الرجل الشهم الطويل القامة، ذا ملابس لائقة.

شخصا قد اعتنى بمظهره، صاحب العينين الثاقبتين، يبتسم حينا ويكشر أحيانا!

فلتأنس بذلك الذي وجدته نشيطا، كثير الحركة، فلتعتبر من كلامه، فكلامه كله حكمة، لولا أنّه غلبته وساوس هو الآخر!..

كان بجانبه يروح ويجيء، بكل جرأة ناداني؟!..
إرتعشت!.. أجل فهو يريد أن يفضي بأمر خطير!..

حكى لي عن باية، عن ليلة عرسه، حكى عن ابنتهما مريم، وعن مدرستها!..

قال لي أنّه فرعون، هتلر، وربّما جورج بوش!..

حدثني بأنّه طبيب، هو أنشاتين، وربّما كان الفرابي، هو المدير، قال أنّه الرئيس!..

أتعلمون بسذاجة رحت أنصت له واستسلمت لخطاباته، صدقته!..

أجل أنت عظيم يا صديقي، وبإذن الله ستكون عظيم.

عظيما هوكان برجولته، بثقافته وتعلمه، لكنّه سرقه الهوس!..

فكن شجاعا يا صديقي .. وسآخذ بيدك طول محطة الزمن!..

هو صديق رسمته من ورقات، سرقته من صفحات، ففي الحبّ حتى السرقة حلال.

لا تلمني يا صديقي، فربّما أردت لك الشفاء كما أردت لك الحياة ؟!

أجل..سوف نقطف سويا زهرة من الأيام..بأوّل فجر الرّبيع!..